الملف الأثري لموقع زابي

معطيات جديدة

د.سعاد سليماني

أستاذة محاضرة (ب) - جامعة قسنطينة 2

تقع زابي[1] بالجزء الغربي من بلاد الحضنة، تنتمي في معظمها إلى بلدية المطارفة، وتبعد بحوالي 04 كلم جنوب شرق بلدية المسيلة، تعرف حاليا باسم بشيلقة.

أشار المؤرخ البيزنطي بروكوب أنها فيما وراء مرتفعات الأوراس ببلاد موريطانيا الأولى (السطايفية)، التي كانت تحوي كل الصحراء الوسطى والتي تعرف بالحضنة وربما من هنا استمدت زابي اسمها [2] . أما مسار انطونينوس يجعلها على الطريق الفاصل بين ستيفيس وأوزايا (سور الغزلان)[3] .

إشكالية موقع وتسمية زابي: ذكر في وثيقة 482 أنها بموريطانيا السطايفية وحسب مسار أنطونين فهي على مسافة 25 ميل من ماكري و 30 ميل من آراس، وويذكر أيضا أنها بين ماكري وتبوسوكتو (Tubusuctu) ثم كانت مقر إقامة القائد المكلف بالمركز الحدودي لزابا والخاضع لكونت إفريقيا[4].

عرفت في المصادر الغربية القديمة بأسماء مختلفة مثل زابوس (Zabos) زابا (Zaba)[5]حتى بعبارة سيوليا (Siulia) والتي اعتقد أنها الاسم الروماني لزابي[6] وراح البعض يعتبر زابي هي المسيلة، وهذا الترادف يعود إلى الآثار الرومانية الواقعة على بعد 4 أو5 كم شرق المسيلة[7].

من جهة أخرى وجدت بعبارة موريطانيا طابيا (Tabia) والتي ميز فيها بروكوب منطقتين هما : سطيف و زابي[8]؛ غير أننا نشير في هذه النقطة أنه ليس بالبعيد من زابي وفي اتجاه قلعة بني حماد توجد حاليا منطقة تسمى دشرة الطابية فهل لها علاقة بهذه التسمية؟

---

[1] Gsell (St),Atlas archéologique de l'Algérie, Paris 1911, feuille 25 n°85
[2]Poulle (A.), « Ruines de Bechilga (ancienne Zabi) », *Rev. af.*, V5, 1861, p 200.
[3]Gsel (St.),op cit , feuille 25 n°85 .
[4]Toulotte (Mgr.), Géographie de l'Afrique Chrétienne, Mauritaniens, Paris 1894, p234.
[5]Piesse(L.), Itinéraire de l'Algérie, de Tunis et de Tanger, Paris 1882,p 411.
[6]Davenet(C.), « Extrait d'un itinéraire descriptif des régions méridionales de l'Algérie », Rev. af, V2,1857-8,p 324 ; Poulle (A.),ibid,p196.
[7]Davenet(C.),ibid ,p324.
[8]Camille (JM.), « Corrections à la liste de Vérone », MEFR, V 2, 1882, p 84.

ذكرها جغرافي رافين (Geographe de Ravenne) على صيغة روبيا (Rubea)[9]، بينما يوضح الباحث دوسانج جوهان (J.Desanges)، في ترجمته ودراسته لفقرة من كتاب بروكوب تحت المعنون (De aedificiis)، أن البلاد الواقعة فوق جبال الأوراس هي زابي (Zabé) ؛ بمعنى آخر موريطانيا الأولى والتي عاصمتها ستيفيس ثم تم إلحاقها بالإمبراطورية البزنطية بعد غزو القائد سولومون للأوراس سنة 539[10]، لكن يرى البعضمن الدارسين أن صيغة "موريطانيا طابيا انسيديانا" ما هي إلا صياغة خاطئة لـــما جاء في: "موريطانيا زابيا جوستنيانا" و أنها تتعلق بموريطانيا السطايفية وليس موريطانية الطنجية كما اعتقده البعض الأخر، وأن الإشكال يكمن في الموقع الجغرافي فقد تم إلحاقها خطاء في قائمة "فيرون" مع منطقة "زوجيطانا" إلى أسقفيات إسبانيا[11].

ووردت باسم "ميدياناس زابونيوروم" (Medianas Zabuniorum) الذي لم يذكرعنه الجغرافيين شيئا، بينما تذكر وثيقة مجمع قرطاجة أن هذه الأسقفية كانت بموريطانيا السطايفية وهي قريبة جدا من سطيفس، ثم يضعها الباحث تولوت ضمن زابا أو زابي . كما استخلص "دوسانج" من اسمها أنها كانت موجودة بسهل مجانة[12] ،وعليه لا يستبعد وجود علاقة بين اللفظين اللغويين لزابونيوروم وزابي[13].

أما عند المؤرخين والجغرافيين العرب، فقد أثار محمد المصطفى فيلاح في مقاله حول عين زانا (Diana Viteranorum)[14] مختلف الصيغ التي جاءت عليها تسمية بعض المدن عند هؤلاء الرحالة، موضحا من جهة إشكالية موقعها الجغرافي الذي لم يحدد بعد ومن جهة أخرى طرح إشكالية علاقة التسمية القديمة ديانا (عين زانا) بها .

فذكرت باسم "أدْنه" عند كل من الرقيق القيرواني(القرن 10) والبكري (القرن 11) ويذكر هذا الأخير كذلك "ءادنة"[15] (ربما قصد عادنة أم أنها مجرد خطاء في النسخ) وعند اليعقوبي (القرن 10) جاءت بصيغة "أربه" و يذكر أنها "هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب" ثم نجد عند ابن خلدون "أذْنة" و يقول أنها. "...قاعدة الزاب..." ثم يذكر كذلك "عزبة" أما النويري وابن الأثير فذكرا إضافة إلى عزْبه اسم "عرْبة "

---

[9] شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1999 ،ج1،ص176.

[10]Desanges(J.), « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine », Byzantion,V33,1963,pp60-61.

[11] Desanges(J.),Ibid,p60 ,notes 1et 2

[12]Toulotte,op cit, pp217-218

[13]Desanges(J.), ibid,p60 note 1et 2

[14]Filah(Mohamed El Mostefa.) ,Diana Veteranorum (Ain Zana), http://filah.over-blog.org/article-diana-veteranorum-ain-zana-par-mohamed-el-mostefa-filah-72296333.html, vue le 22avril 2013

[15] أبوعبيد البكري (المتوفي سنة 478 ه) ،المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، طبعة مكتبة المثنى، بغداد سنة 1857، ص144.

أما تسمية بَشْلِيقَة كما ذكرها البكري[16] في نصه: "... وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشليقة..." ، قد تكون مشتقة من الكلمة اللاتينية بازليكا، الشيء الذي يعني وجود بازيليكا في هذه المنطقة[17].

المراحل التاريخية لزابي: قد تؤكد الكتابة الليبية - النوميدية التي وجدت بمنزل "الشيخ لخضر بن بوجملين" بالمسيلة[18] قِدم زابي وانتمائها إلى ما قبل العهد الروماني (لو 1: 1) .

شحت المصادر عن ذكر زابي في هذه الفترة، وجاء فقط أن الرومان احتلها قبل القرن الثالث وأصبحت هامة[19]، وأنها كانت منطقة حدودية على الخط الدفاعي الثاني؛ وبما أنها تحتل وسطا جغرافيا لا يقل أهمية عن موقع طبنة، ساهمت زابي في منع زحف البدو الرحل الذين يترددون على بحيرة شط الحضنة من الجزء الغربي[20]

عندما تقدم خط الدفاع نحو الجنوب باتجاه جبال الحضنة خلال القرن الثالث اضطر الرومان إلى تعزيز كل من هنشير بشيلقا (زابي) وتارمونت المذكورتين في مسار أنطونين على الطريق الذي يرسم الحدود الجنوبية للحضنة، وأصبحت إحداهما مركز الليمس في القرن الخامس [21].

صنفت زابي كمدينة محصنة أي "أوبيدا" (Zabi Oppidum) مثلما جاء في كوسموغرافية يوليوس أونوريوس(Julius Honorius) [22] ، واعتبرت كذلك من الأرياف القديمة لموريتانيا[23]

كانت أيضا قاعدة لجيوش الرومان في مرحلتهم الأخيرة وهم يدافعون على الحدود ويحاولون مجابهة البربر؛ هؤلاء الذين قد ألحقو بها الخراب والتهديم من أجل استرجاع خيرات الحضنة قبل أن تسقط في يد الوندال[24]

تعرضت زابي في القرن الخامس لهجمات الوندال البربرية ودمرت عن آخرها غير أن تفاصيل هذه الأحداث لم يصلنا منها إلا القليل المبهم، ويبدو أن الملوك المور قاوموا وتمكنوا من استرجاعها، فظلت تحت سلطتهم حتى سقوط الحكم الوندالي ومجيء البيزنطيين؛ فاستطاع قائد الجيش البيزنطي سولومون أن يسيطر على المور ويسترجع زابي مع أهم مدن الحضنة؛ مثل طبنة التي راحت تقتسم

---

[16] نفس المصدر، ص59. أبوعبيد البكري،

[17]Cat,(E.) , Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne , Paris 1891, p. 224.

[18]Poulle(A),op cit,p207,note1et p208 notes 2à5 ;Reboud(V.), Recueil d'inscriptions libyco-berbères,Paris 1870,p. 44 ,n°132

[19]Cat(E.) ,ibid,p224

[20]شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ص175

[21]Cagnat(R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris1913,p.617

[22]Gsel (St.),op cit,feuille 25 n°85; Riese(A.), Geographi latini minores, Allemagne 1878,pp.48,89.

[23]Camille (JM.),op cit ,p.84

[24]Cat(E.) op cit,224

حراسة حدود الحضنة معها وظهر في هذه الفترة خط حدودي مزدوج يتكون من ليمس طبوننسيس وليمس زابنسيس[25] ، وكانت زابي في هذه الفترة بلدة مركزية من موريطانية السطايفية[26].

وتعد بذلك من المنشآت الدفاعية التي أقامها البيزنطيون على الجزء الشرقي من الليمس بمنطقة الحضنة، لتواجدها على موقع استراتيجي يجعل منها نقطة حدودية تحمي وتؤمن الجنوب النوميدي ومدخل المقاطعة السطايفية، مراقبة بذلك الواجهة الجنوبية الغربية وتشكل مع حصن سطيف الحدود الغربية للبلاد الخاضعة للبزنطيين[27].

أعيد بناؤها في ظل حكم جوستنيان (Justinien) بين 539 و544[28]؛ الذي خصص مبالغ طائلة لإعادة بناء العديد من المدن ورفع أسوارها، غير أن الكتابة التي اكتشفت بزابي لا تشير إلى اسم الإمبراطور الحاكم الذي أمر ببناء المدينة، مع أنه من البديهي أن تأخذ المدينة الجديدة اسم الإمبراطور الحاكم لتلك الفترة.

نعلم أن ترميمات المدن الإفريقية بدأت مع القائد بيليزر (Belisaire) سنة 533 ثم تواصلت مع خلفائه القائدين سلومون و جيرمان (German) سنة539 ، لكن هذه الأعمال لم تتعد الحدود النوميدية ولم تصل إلى موريطانيا الأولى إلا في فترة لاحقة ؛ أي بعد أن هزم سولومون القائد المحلي يابداس ملك الأوراس، ومن هنا أي أواخر عام 540 ، بدأت مدن Zaba في الخروج من الدمار الذي حل بها، وقد نقشت الكتابة التي تخبرنا بتشييد المدينة الجديدة زابي خلال الأشهر الأولى من العام الموالي ، وهذا عند الشروع في أعمال إعادة البناء[29] - و لعل هذا ما أكدته كتابة سطيف[30] المعاصرة لنص زابي[31] ، غير أن هذه الأخيرة تبين - حسب المختصين – مواصلة بناء لمدينة قديمة[32] ثم أصبحت في مابعد تسمى زابي جستنيانا؛ ويعتقد دورليات (Durliat)[33] أن الحداثة هنا لا تعني المبنى ولكن تدل على تجديد الاسم.

الكتابة المخلدة لإعادة بناء أسوار زابي: اعتقد الكثير أن هذه النقيشة قد ضاعت، لكنها ظهرت مؤخرا وأطلعنا على مكان وجودها السيد بن خرباش عبدالنور، مسؤول فرع الآثار بالمسيلة.

---

[25] Diehl(Ch.), L ' Afrique byzantine: histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), Paris,1896, p254. Cat(E.)),ibid,p224

[26]Courtois(C.), Les Vandales et l'Afrique, Paris 1955,p.91

[27]شنيتي .م ب، نفس المرجع،.ص 415

[28]Durliat(J.), Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique byzantine, Rome 1981, p.58

[29]Poulle(A),op cit, pp198-202

[30]CIL, VIII, 8483

[31]Poulle(A), op cit,p.203

[32]Durliat(J.), op cit,p.57

[33]Durliat(J.), ibid.p,59

وجدناها في وسط ركام مجموعة هامة من العناصر المعمارية (لو1: 2) بمنطقة الجعافرة أثناء إعادة بناء مسجد الحي،وكانت غير كاملة من الجهة اليسرى للكتابة، (لو1: 2) بمنطقة.

تختلف مقاستها عن المقاسات المذكورة في الكوربوس[34] ، و هي كالأتي:

الأبعاد (سم)	المقاسات السابقة	المقاسات الحالية
العرض	24	40
الطول	179	80
الارتفاع	؟	24
طول الحروف	8	9,5

جدول يبين مقاسات نقيشة زابي

أما المسافة الموجودة بين السطور تتراوح ما بين 4 و4,5 سم ؛ ويدل هذا على أن أكثر من نصف الكتابة مفقود، وهذا ما بقي من النص بحيث السطر الأخير غير واضح في آخره :

A M LN(II) SHVICC/ AZABISVBTEM/(I)SSIMI (H) TNVTCIIS

وقد تعددت القراءات الخاصة بها وآخرها كانت كالآتي :

Aedificata est afundamenthuiccivilas nova Jusliniana Zabisub, temporibus Domninostripiissimi et invictissimi

الترجمة:

"هنا شيدت من أساساتها ، المدينة الجديدة زابي، تحت حكم إمبراطورنا التقي الذي لا يغلب "

أعطت إعادة بناء زابي للمدينة مكانة دفاعية قوية[35] من جديد؛ فكانت توقف زحف البدو الرحل الذي يهدد الجهة الشرقية وتمنعهم من محاولة إحاطة البحيرة الكبيرة للشط من الجهة الغربية، وتصد خاصة الطريق القادم من بوسعادة، كما كان دورها مراقبة جبل بوطالب وحماية المعبر الذي يتبع وادي القصب ويربط بين الحضنة ومنطقة برج بوعريرج[36] ، وهذا عبر الموقعين الحاملين رقمي 70و75 في الخريطة الأثرية رقم 25[37]، كما قد تكون هذه ضمن المناطق المحيطة بالحضنة التي لجأ إليها

[34]CIL, VIII, 8805
[35]Diehl(Ch.),op cit,p.171
[36]Diehl(Ch.),ibid,p255
[37] Gsel (St.),op ci ,feuille 25 n°s 70-75

الموريون خلال الفترة البيزنطية، ولعبوا دورا في تدمير زابي حتى قبل أن تأمر ملكة الأوراس الكاهنة التي قادت الموالين ليبداس بالدمار الشامل في نهاية القرن السابع[38].

أسقفية زابي: وردت أسماء بعض أساقفتها عند الأسقف أوبتاتوس(Optatus) وكذلك في قائمة الأساقفة الذين حضروا مجمع قرطاجة عام 484 م[39]، وذكر منهما أسقفين الأول يدعى فليكس (Felix) وهو من الزعماء الدوناتيين الذي قام بمعية صاحبه "جانفيي فلومنبيسيس" (Janvier Flumenpicis) باضطهاد الكاثوليكيين بشدة وبعنف خاصة بقلعة لوميلاف (Castellum Lemella) في أحداث سنة 362 أو بعدها؛ فكانا على رأس مجموعة من الدوارين و قاما بالسطو على المنطقة المعروفة بزمبيا بمنطقة مجانة، حيث حاصروا الكنيسة وصعد الدوارون على السقف وانهالوا بالضرب عل الموجودين بها وهذا برمي القرميد على رؤوسهم [40].

أما الأسقف الثاني و هو بوسيسور(Possessor) الذي ظهر في المرتبة الأربعين لقائمة أساقفة موريطانيا الذين التحقوا بمجمع قرطاجة ، وتم نفيهم بعدها من طرف الملك هونيريك سنة 484[41].

كما عرف كذلك أن زابنسيسين (Des zabenses) سكنوا سنة 474 بالقرب من تناراموسا[42] (Thanaramusa) (البرواقية حاليا) بموريطانسا القيصرية[43]

نهاية زابي والانتقال إلى المسيلة؟:عندما بلغت جيوش عقبة بن نافع الفاتح عام 680م إقليم الزاب، كانت زابي تتمتع بمكانة سياسية هامة في كامل الزاب آنذاك، لكونها مركزا لتلاقي الملوك المور وكانت كذالك عامرة بالروم والمسيحيين[44] فدخلوها بالصلح [45].

غير أننا نفهم عكس ذلك من خلال ما ذكره ابن خلدون بقوله "... رجع عقبة بن نافع إلى إفريقية... وفتح حصونهم مثل لميس وباغاية، وفتح أذنة قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم وأصاب من غنائمهم .."[46]

ظلت مدينة زابي قائمة على أسسها البيزنطية ووسعت في عهد الولاة الذين أولوا بلاد الزاب عناية خاصة وذلك لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية، باعتبارها بوابة المغرب الأوسط وذلك لما تتوفر

---

[38]Poulle(A),op cit, p.205,note1.
[39] Gsel (St.),op cit, feuille 25 n°85 ;Cat (E),op cit,p.223
[40]Poulle(A.),ibid, p 129
[41]Toulotte,op cit,p244
[42]Gsel (St.),op cit,feuille14 n° 58
[43]Desanges(J.), op cit,p.60 ,note 1
[44]Cambuzat(P-L.), L'évolution des cités du Tell en Ifrikya du VII au XI siecle, Alger1986, pp22-23
[45]شنيتي م.ب، نفس المرجع ،ج 1 ،ص180 و التهميش رقم1.
[46]محمد بن خلدون (المتوفى سنة 808 ه) ، تاريخ ابن خلدون ،ج 4 ،بيروث 1971، ص146 .

عليه من قدرة على الإنتاج الزراعي المتنوع واستحواذها على معابر رئيسية بين التل والصحراء، فضلا عن مكانتها عبر الطريق الرابط بين خليج قابس وتيهرت وما وراءها[47].

لكنها بدأت تفقد مكانتها الاقتصادية عندما اتخذ الولاة مدينة طبنة عام 771م عاصمة أخرى لإقليم الزاب، إلى أن أرسل الحاكم الفاطمي أبو القاسم القائم إليها علي بن حمدون عام 935م وكلفه بولاية هذا الإقليم؛ وهنا نشير إلى أن البكري ذكر أنه قبل غزوة الهلاليين سكن ابن حمدون ضواحي عزبة (زابي)، وأن قبائل هراوة الذين انحدروا من القبائل المسيحية سكنتها في القرن السابع ومنهم بنو زنداج وبرزال الذين ذكرهم الإدريسي في المسيلة، وربما كان ذلك قبل أن يبني مدينة المحمدية (المسيلة حاليا) التي استعملت مواد البناء المسترجعة من خرائب زابي.[48]

إشكالية حدود وتأريخ موقع زابي: لم يذكر إلى يومنا هذا سوى ناقشتين بزابي ، مع أنها كانت منطقة جد هامة في الفترة القديمة ،حتى النقيشة التأسيسية وجدت على بعد مسافة من زابي، ونحن نجهل إلى اليوم امتداد هذه المدينة التي يقول البعض أنها تبعد عن المسيلة بثلاثة أو خمسة كيلومترات ؛ألا يمكن أن نعتبر من جهة أن هناك زابي الأولى والتي من المفروض قد تكون بالقرب من ضفاف وادي القصب وبالضبط على الجهة اليمنى ، أين نجد العديد من العناصر المعمارية وحتى أنه عثر على بقايا أواني فخارية من نوع السجيلي؟ وهل تدل زابي الجديدة المعروفة بجوستينيانا على تمييزها عن زابي القديمة ؟ هذه التي لم يبق فيها سوى جزء من القناة الناقلة للماء القادمة من واد القصب، وبعض الحجارة التي منها ما يحمل رموز الفترة المسيحية مثل الحجارة المنقوش عليها زهرتين تحمل رمز المسيح[49]، الموجودة حاليا بمنزل السيد بديار بن خرخاش ببشيلقة والتي تشبه تلك الموجودة بتارمونت والموضوعة حاليا بالمركز الثقافي لهذه البلدية .

فهل يعقل إذا أن يترك الرومان المنطقة القريبة من الماء ويبني مدينته بعيدا عنها؟ أم أن فيضان واد القصب هو ما دفعه للابتعاد أكثر ؟ وقد يكون هذا مستبعدا لأن هذا الواد لم يشهد فيضانات معتبرة من قبل.

في حين أنه يمكن أن نسلم بأن البيزنطيين بنوا تحصيناتهم إما بالقرب من المدن الرومانية أوباستغلال جزء منها[50] واسترجعوا بذلك مواد البناء الموجودة بالقرب منها، وقد يدفعنا هذا للتفكير في ما إذا

---

[47]شنيتي م ب، نفس المرجع ،ص180م.

[48]Poulle(A.) ,op cit, p.206

[49]Poulle(A.), ibid,p. 207

[50]سليم دريسي، البزنطيون في شمال افريقيا ،الإحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأثار القديمة، جامعة الجزائر2 ،السنة الجامعية2007-2008، ص252.

استحدث تحصين زابي مع البزنطيين؟ وقد لم يكن لديها سورا من قبل لو أخذنا بعين الاعتبار بعد المحاجر؟ وهنا نتساءل أيضا كيف كانت زابي مؤمنة في الفترات القديمة؟ ولماذا اعتبرت منطقة حدودية ؟

في حقيقة الأمر، يمكن اعتبار طبوغرافية المنطقة المحيطة هي التي أعطتها تلك الأهمية فلا تكاد تخلو هذه المناطق من المراكز الأمامية التي بنيت فوق التلال المحيطة بها(لو2: 1) وهنا نظيف ما جاء عند ياقوت الحموي في معجم البلدان

" أربة بالتحريك و الباء الموحدة:اسم مدينة بالمغرب،من أعمال الزاب،وهي أكبر مدينة يقال: إن حولها ثلاثمائة و ستين قرية."[51]

أما منشآت الري التي وجدت بها والمتمثلة حاليا في أجزاء من القناة القادمة من واد القصب و بقايا خزان[52] ؛ أشار الباحث بايان أنه يمكن ارجاعها إلى الفترة الرومانية[53] لكن لا يوجد دليل قاطعا عن ذلك ، فحتى البقايا الفخارية المنتشرة بالمنطقة تعود لمختلف الفترات التاريخية ، كما أن نص النقيشة التأسيسية يشير إلى مسؤوليات القائد سولومون التي تعود إلى فترة الحكم الثاني للبطريق في افريقيا وهذا بين 539 و544[54]

تخطيط مدينة زابي: قد بقي من آثار زابي بعض الجدران التي لا تعلو على سطح الأرض وبعض الحجارة الكبيرة، ثم أجزاء لأعمدة مع تيجان نقلت إلى المسيلة[55]، غير أنها لا وجود لها اليوم .

جاء عند الباحثين الأولين ذكر طريق عريض يعبر طول المدينة ولها طرق أخرى تتقاطع من الشمال إلى الجنوب، كانت واضحة في الجهة الشرقية من خلال آثار البناءات على الجانبين، ثم بها آثار لبناء ذي وظيفة خاصة؛ يظهر على شكل صليب حيث يبدو جناحاه غير ممتدين، ويشكلان من كل جهة فضاء نصف دائري، لكن الحجم الصغير للمبنى لا يؤهله كي يكون بازليكا، حتى أنه لا يمكنه احتواء مائة شخص[56].

---

[51] Moukraenta Abed(Bakhta.), L'image de l'Algérie antique à travers des sources arabes du Moyen Âge, Alger, 2013, v. 2, p. 577

[52]سعاد سليماني، منشآت الري القديمة بمنطقة الحضنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الأثار القديمة ، جامعة الجزائر2 ،السنة الجامعية 2005-2006 ،ص ص 74و128.

53 Payen(C.), « Les travaux hydrauliques anciens,dont il existe encore de nombreux vestiges dans la partie du Hodna », R.S.A.C,V.23, 1864,p 12

[54]Laporte(J.-P.), « Zabi,Friki:Notes sur la Maurtéanie et la Numidie de Justinien ». Ant.Tar,V.10, 2002, p154

[55]Poulle(A.), op cit,p204

[56]Poulle(A.), ibid

وفي الجهة الشمالية الشرقية يقترح "بول" وجود ورشات لصنع الفخار نظرا لغزارة الكسور الفخارية الظاهرة على السطح، فمنها ما صنع بتقنية رفيعة و زين حتى برسومات كما استغلت مادة الطين من الهضبتين الواقعتين على بعد 300 م من الجهة الجنوبية[57].

قلعة زابي البزنطية؟:لا طالما شاع أن مقر زابي موجود في المكان المسمى حاليا **بكدية الرمادة**، ومن خلال صورة ساتليتية من محرك البحث "قوقل إرث" يظهر لنا هذا الموقع على شكل مستطيل به خطوط متاعمدة تشكل فضاءات مربعة ومستطيلة (لو2: 2أ و 2ب)، فهل هي جزء من قلعة زابي؟ الحفريات وحدها كفيلة بأن تكشف لنا ذلك.

وصف الموقع: يحتل موقع الرمادة كتلة كبيرة شبه مستطيلة ، قدرت مساحاتها بحوالي ثمانية هكتارات ؛ وهي أكبر كدية في المنطقة تمتد آثارها على طول 400 م شمال غرب-جنوب شرق وعلى عرض 200م شمال شرق جنوب غرب، وتقع على بعد 1.6 كلم شمال غرب موقع زابي، وبالتحديد عند النقطة 35°41'38. 75" شمالا و4°34'15. 94" شرقا وعلى ارتفاع 471 م (لو2: 1) لم تذكر هذه الكدية كموقع أثري، غير أنها تحتوي العديد من البقايا الفخارية المتنوعة، وتتكون من طبقات من الرماد الأسود والأحمر الذي يدل على أثار الحرق.

وجدنا بها القليل من العناصر المعمارية والتي تمثلت في تاج أيوني بسيط وأملس وجزء عمود وبعض الحجارة الكبيرة، نحتت هذه المواد بشكل غير جيد.

ولم نستطع رؤية أي أساسات على السطح لتراكم الفخار وخاصة الحصى الذي يشكل فضاءات مربعة ومستطيلة، غير أن الصورة الساتيليتية بقوقل إيرث أظهرت لنا بشكل جيد خطوطا متقاطعة مشكلة فضاءات مربعة ومستطيلة، تحتل مساحة حوالي 8 هكتارات و نرى كذلك أجزاء سور يحيط بها من الجهة الجنوبية الشرقية للكدية.

تبين لنا من خلال صور اطلعنا عليها بمصلحة الصور بأرشيف مركز "كاميل جوليان" (Camille Julien)[58]، أنها قد تكون مأخوذة بموقع الرمادة كما توضح لنا تقنية البناء المستعملة المتمثلة في الأفريكانوم والكودراتوم؛ قد نقربها ببرج أولاد عيسى المعروف بخربة القصر الذي كان يحتل المرتفع المطل على المنحدر الشمالي لجبل المعاضيد والموجود بدوار الربطة جنوب برج بوعريريج(لو 2: 3 أ-ب-ج)[59].

[57] Poulle(A.), op cit,p204
[58] Service d'archives, centre Camille Julien, Aix en Provence: N/ 0228233 - 0128232-0128231-0128230
[59]Robert(M.A.), « Antiquités de la commune mixte des Maadid », R.S.A.C,V.37,1903,pp15-17, pl.VIII

إن ما تبقى من مدينة زابي، مبعثر إلى درجة أننا لم نتمكن من وضع مخططها الكلي لكن استطعنا أن نقف على العديد من البقايا المتمثلة في أساسات معالم سكنية وأخرى دينية تنتشر على مسافة طولها 3 كلم تقريبا (لو3)، و لعل ما يميز هذه المنطقة هو امتدادها الشاسع الذي قد كان سببا في اختلاف الباحثين حول تقدير مساحتها الإجمالية بين 30 أو 90 هكتار[60] ؛ إذ يحيط بها عدد هام من المواقع التي تحتل هضبات صغيرة، كتلك المشار إليها في الأطلس الأثري على أنها أثار قليلة الأهمية[61]؛ فمنها ما ظهر مؤخرا فقط، مثلما هو الحال لموقع الرمادة، وكلها تبدو وكأنها مراكز أمامية وظيفتها دون شك تأمين الحماية لهذه المدينة، غير أن تحرياتنا للمنطقة قد أعطت قراءة جديدة لهذه المواقع المجاورة، فبينت آثارها الممتدة والمتنوعة على أن لها وظائف مغايرة، إذ تتمثل بقاياها في منشآت زراعية تنتشر فيها مطاحن القمح الصغيرة والكبيرة الحجم وكذا ورشات تحويلية منها لصناعة الفخار و أخرى معاصر للزيت؛ وعليه سنتطرق إلى ما بقي من معالم ظاهرة بالمدينة على النحو التالي:

بقايا حي سكني؟ : يتواجد هذا الحي بالجزء الغربي للحي السكني الحالي لبشيلقة وبالتدقيق عند النقطة 35°09'41" 57 شمالا و4°54'34. 42" شرقا.

لم نر هذه البقايا الأثرية من قبل رغم ترددنا على الموقع عدة مرات لأنه كان مستغل كمفرغة للحي من قبل، فبعد تحويل المفرغة ظهرت العديد من الأساسات بالمنطقة التي تنتشر على مساحة شاسعة تقدر بحوالي 0.5 هكتار؛ وأهمها الجزء الموجود بالجهة الغربية من الموقع، يظهر فيه العديد من الأساسات (لو3: 1) فبهذا قد نكون أمام أحد الأحياء الهامة لمدينة زابي مثلما تبينه الصورة الساتليتية (لو 3: 2)

وحاولنا انجاز مخططا لجزء ظاهر بهذا الذي قد يمكننا من قراءة هذا التجمع ومعرفة وظيفته؛ فقد يكون هذا المبنى الواسع منزلا بمرافق عديدة لكن الأساسات الغير كاملة حالت دون معرفة تفاصيل أكثر (لو 3: 3) وعليه سندرج فيما يلي شرحا لما يظهر من هذه المنشأة التي يمكننا رؤِية جزء منها بالصور الساتليتسة :

السور الخارجي : نلاحظ بقايا أساسات سور من الجهة الشمالية ومن الجهة الشرقية متوسط طوله من الجنوب إلى الشمال 90.80 م ومن الشرق إلى الغرب 45 م ، وسمكه 0.90 م.

الجدران الداخلية : بلغ متوسط سمكها 0.50م، وتشكل فضاءات مستطيلة وأخرى مربعة الشكل، كما تشكل أروقة أو ممرات بين هذه الفضاءات التي تتخللها كذلك بقايا أساسات المداخل (لو 3: 4).

[60]سعاد سليماني، نفس المرجع، ص21 ،تهميش 6و7.

[61]Gsell (St.),op cit ,feuille 25 n°s 86,87et88

الأرضية : نلاحظ بشكل جيد في جزء من الجهة الغربية للمنشأة بقاية أرضية من الملاط المحكم والممزوح بكسور الأجور

تقنية ومواد البناء: يبدو من بقايا الجدران الظاهرة جزئيا وكذا الأساسات أن التقنية المستعملة هي الأفريكانوم، وجاءت الدعامات الفاصلة بين الجدران من الحجارة الكبيرة الغير منحوتة، أما الجدران فهي بالدبش المرصوص بتقنية السنابل ومتماسك بملاط صلب (لو3: 5 و6).

ملاحظة : كما ذكرنا سابقا، تظهر بقايا قناة بالجزء الجنوبي الشرقي للمنشأة، وهي دون شك التي كانت تمونها بالماء القادم عبر القناة الرئيسية، إضافة إلى هذا تسوقنا بقايا العديد من كتل الجير المائي الظاهرة على الأرضية المجاورة للقناة إلى افتراض وجود خزان للماء بالقرب من هذا المبنى، كما نلاحظ بشكل واضح بقايا أساس على شكك دائر في هذا الموضع (لو3 :3 و 7)

بقايا بازيليكا ؟: على بعد حوالي 70م شرق الحي السكني وبالتحديد عند النقطة 35°41'8. 37" شمالا و 4°34'59 .02" شرقا في اسطبل عائلة بن زغبة، تتبعنا أساسات قد تعود لبازليكا؛ تظهر بقايا أرضية حنية نصف دائرية بالجهة الشمالية الشرقية مبلطة بحجارة كلسية رمادية اللون وتمتد حتى داخل الجزء الخلفي للإسطبل (لو3: 2 و 8)، متوسط فتحتها 3.45 م، أما متوسط عرض البلاط الوسطى فهو 5.85 م ونلاحظ على جانبيها في الجزء العلوي عند بقايا أساسات الجدارين الذين ترتكز عليهما الحنية، بلغ متوسط سمكهما 0.50 م، كما لا تزال قاعدتي عمودين على جانبي البلاطة الوسطى في مكانهما

إضافة إلى هذا، فقد انتزعت بعض العناصر المعمارية التابعة لها وزين بها الفناء الخارجي للمنزل (لو 49: 9)؛ ونذكر منها خاصة بقايا أجزاء أعمدة، منها البسيطة وأخرى منقوشة بشكل مميز، تحمل أشكال هندسية ونباتية قد تعود إلى الفترات المتأخرة[62] (لو3: 9ب)

بقايا أساسات جدران : تنتشر العديد من الأساسات المتقاطعة في الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية لموضع البازليكا، ويشكل بعضها أحيانا فضاءات مربعة وأخرى مستطيلة، رغم ذلك تبقى مبهمة، إذ لا نلمح آثار عتبات أبواب أو مداخل فقد يكون بعضها أحواضا لتخزين المياه ومعظمها ملاحق لمنازل أو دكاكين تطل على شوارع ؟

المنشآت المائية بزابي[63] : تنعدم المنابع المائية في مدينة زابي، ولم نجد أي أثر للآبار القديمة بها، فقد يدل ذلك على عدم وفرة المياه الجوفية بها، ولذلك تعززت مدينة زابي قديما بشبكة هامة من المنشآت

[62]Salama (P.),"Recherches sur la sculpture géométrique traditionnelle" ,Promenades d'antiquités africaines : scripta varia; réunis par Jean-Pierre Laporte et Pierre Salama, Paris 2005, pp 247-273

[63]سعاد سليماني،نفس المرجع ،ص ص 70-74.

المائية، المستغلة في تزويدها بالمياه الصالحة للشرب من جهة، والمياه المستعملة في الري الزراعي من جهة أخرى؛ وقد ذكر البكري في هذا الصدد ما يلي:".... فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأول إليها يقال لها تارقا أنووذي تفسيره ساقية السمن.."[64]

تمثلت هذه المنشآت في قناة ناقلة رئيسية مزدوجة المسار؛ تنطلق من السد المصفاة لوادي القصب[65]، على طول الضفة اليمنى وتقطع مسافة أكثر من 2 كلم ثم ترتفع فوق سلسلة من المنحنيات لتتوجه جنوبا ثم تلتف إلى الشرق، فتعبر خمسة خزانات متوسطة الحجم صهاريج قبل أن تصل إلى مركز زابي بعد مسافة 5 كلم من السدود، ومن هنا تمون صهاريج أخرى مختلفة الأحجام منها العمومية والخاصة[66] .

إن معظم هذه القناة قد أتلف وأزيح عن مساره الأصلي ولم يبق منها إلا أجزاء متقطعة عند مدخل مدينة بشيلقة، وكثيرا ما نجد كتل حجرية متناثرة هنا وهناك وبأشكال مستقيمة أو ملتوية أو نصف أسطوانية وبأبعاد متقاربة نوعا ما؛ تظهر أحيانا كليا على سطح الأرض، وأحيانا أخرى لا نجد سوى قاعدتها.

تفرع القناة نحو المجمع السكني : نجده آثار تفرع هذه القناة على بعد 450 م جنوب شرق منزل بن خرخاش؛ فخلال تحرينا هذه المرة لمنطقة زابي استطعنا أن نتتبع عبر بعض المنازل جزءا آخر من هذه القناة التي ذكرناها أعلاه، إذ راحت تتجه بشكل مستقيم تحت هذه المنازل، ثم تختفي ويظهر منها تفرع يصب بالجزء الجنوبي الشرقي عند بقايا الحي السكني المذكور أعلاه(لو3: 3 و 7)

تختفي القناة مجددا تحت المنازل الحديثة لتظهر على بعد حوالي 100م عند ساحة منزل عائلة بن زغبة، ويصب مباشرة داخل حوض مستدير متوسط قطره 7.40م، ولا يظهر إلا جزء صغير من جداره ،متوسط ارتفاعه 0.60م ومتوسط سمكه 1م .(لو3: 10) .

ونظن أن هذا الحوض المستدير ما هو إلا موزع أو محول للمياه، حيث تنطلق منه دون شك قناة فرعية أخرى لتتوجه مباشرة نحو الجهة الجنوبية الشرقية بجنان بن زغبة حيث يتواجد صهريجين تحت مستوى بستان هذا السيد الذي ردمهما مؤخرا فقط، هذا بالإضافة إلى الخزان الكبير الذي تصل إليه القناة مباشرة [67] .

---

[64]البكري، نفس المصدر، ص 59.

[65]Gsell(St), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie,Paris1902,p75.

[66] Gsell(St), ibid,p75 ; Payen(C), op cit,p11

[67]سعاد سليماني ،نفس المرجع ، ص 73.

كما اكتشف السيد زغبة جلول أحد القاطنين بزابي سنة 2011 كنزا نقديا جديدا[68] ، وعثرنا على العديد من القطع النقدية بكل الموقع، غير أننا لم نتمكن من دراستها لأنها متلفة (لو3: 10)

الكتابات الأثرية القديمة: لم يكن هناك كتابات في الآثار المنقولة إلى مدينة المسيلة باستثناء تلك التي احتوت نص تأسيس زابي والكتابة الليبية[69] - المذكورة سابقا- فهناك النقيشة التي عثر عليها الدكتور لوجار (Laeger) بضواحي المسيلة وكان نصها غير واضح؛ وذكر ستيفان جزال أنها قد تكون معلم ميلي على الطريق الرابط بين زابي وآرس وقد كان محتواها تكملة لألقاب غورديان الثالث (Gordien III) أو عبارة عن اسم لصاحب الإهداء[70]

كما أشار إلى احتمال وجود طريق يربط زابي بمدينة اكويزيتوم (Equizitum) -المعروفة بأولاد عقلة حاليا- عبر كل من موقع النس[71](العش حاليا) وخربة سد بلعباس على الضفة اليمنى لواد لقصب [72] (خريطة الطرق).

أما المعالم الميلية[73] التي وجدت على الطريق الرابط بين زابي وآراس (تارمونت) فجلها يعود إلى النصف الأول للقرن الثالث[74].

وفي الأخير ، نشير إلى أن زابي لا تزال تخفي أسرارها ، فكلما مشينا في أحيائها و بساتينها إلا و لاحظنا العديد من الدلائل الأثرية التي تفصح لنا عن سعتها و أهميتها.

[68]مصلحة التراث الثقافي بمديرية الثقافة لولاية المسيلة.

[69]Poulle (A.),op cit,p207
[70] CIL, VIII, 10431 .
[71]Gesell (St),Atlas archéologique d'Algérie, feuille 25 n°75
[72]Gesell(St),ibid, feuille 25 n°70
[73]CIL.8, voir Aras et Zabi.
[74]Gesell(St),ibid, feuille 25 n°10

اللوحة 1

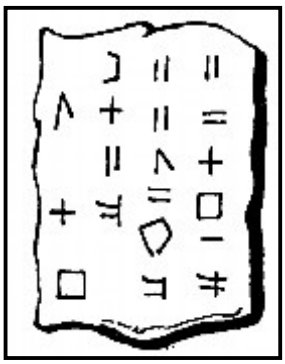

1: الكتابةالليبية لزابي (REBOUD, 44 ,n°132

2 نقيشة زابي (عن الطالبة)

اللوحة 2

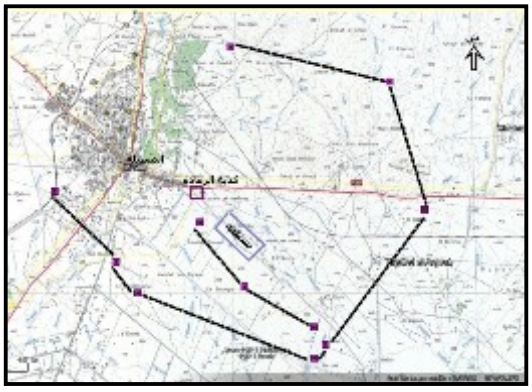

1: تصور لمدينة زابي و محيطها السلم 1/ 50.000

2 : أ بقايا تخطيط على سطح الرمادة (سورة ساتليتية)

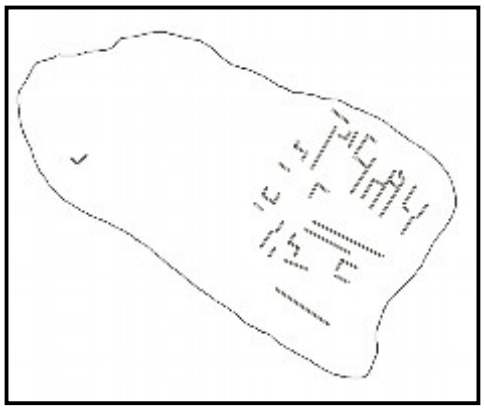

2 : ب رسم يوضح التخطيط الظاهر على سطح الرمادة

(عن الطالبة من خلال الصورة الساتيليتية)

3: أ صورة لزابي (Camille Julien)

3 : ب صورة ثانية لزابي (Camille Julien)

3 : ج- برج أولد عيسى (عن

ROBERT, M.A., p15-17 pl VIII

اللوحة 3

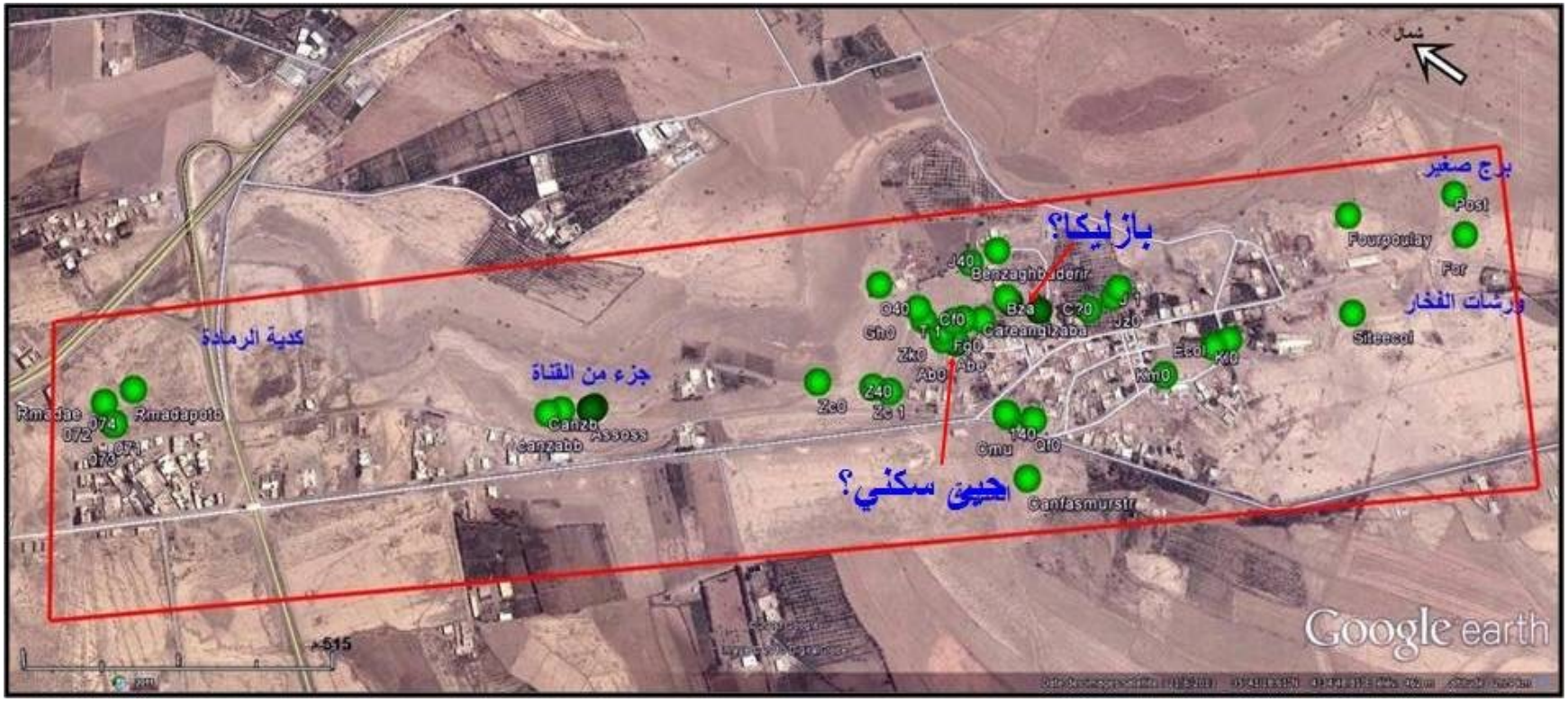

1 :أثار مدينة زابي المعاينة ميدانيا(صورة ساتليتية و بتصرف من الطالبة)

اللوحة 3(تابع)

2 بقايا موقع زابي

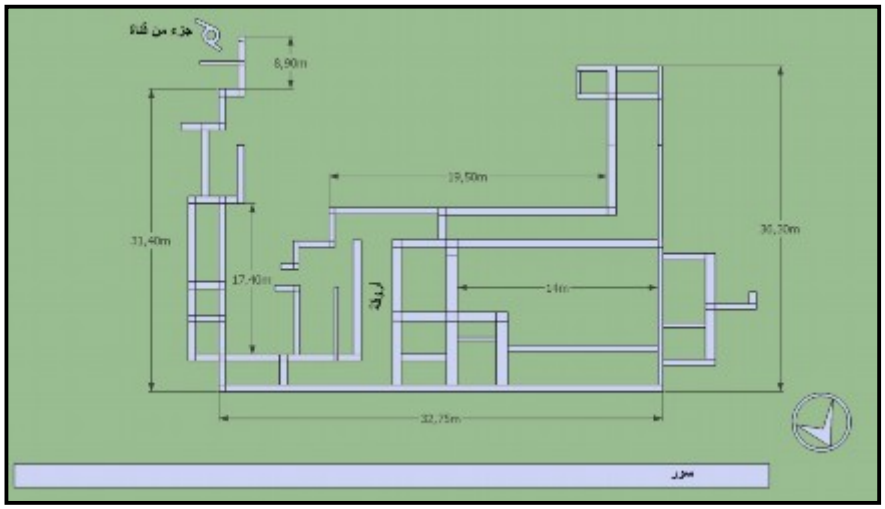

3 : مخطط لجزء ظاهر من الحي السكني (رفع سعيد دبش و رسم محمد عرباوي)

4 : بقايا رواق داخل مبنى

5 : دعامات من الحجارة الكبيرة الظاهرة في احد الفضاءات بالمبنى

6: جزء من جدار مبني بتقنية السنابل

7: بقايا أساسات بازليكا ؟

8: جزء من القناة الخاصة بالمبنى

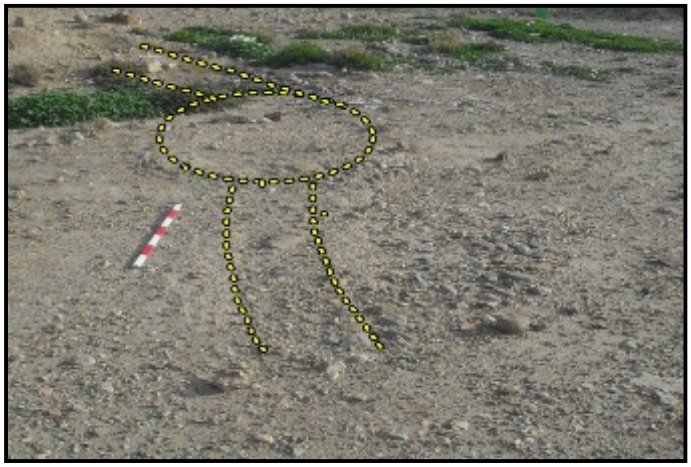

9 : (أ، ب) بقايا عناصر معمارية

10 : بقايا حوض مائي